معرض "أناشيد أندلسية" للفنان رسمي الخفاجي في فلورنسا

جدل أحزان بالأسود، وآمال بالأبيض

روما – عبد اللطيف السعدي

"حتى وقت قريب استخدمتُ التلوين الزيتي. والآن استخدمت اللون الأبيض والأسود، وبينهما التدرج اللانهائي للرصاصي، ولكنني مع ذلك أرى كل ألوان العالم".
بهذه الفصاحة الفنية بالمعاني التكنيكية والجمالية. وبهذه الكلمات المشكلة، يلخص الفنان المبدع رسمي الخفاجي سمة أساسية من سمات لوحاته الجديدة في معرضه الشخصي التاسع الذي افتتح في الحادي والعشرين من شهر كانون الثاني / يناير الماضي، واستمر حتى الرابع عشر من شهر شباط / فبراير الجاري. وذلك في غالري "إماجيناريا" في مدينة الفن فلورنسا وغالري "كوادرو ٠،٩٦ " في مدينة "فييزولا" الإيطالية في آن واحد. وضم المعرض العديد من اللوحات التشكيلية المائية، بأحجام مختلفة، بين الصغيرة والمتوسطة وكبيرة الحجم إلى جانب أعمال ثلاثية الأبعاد.

ومن عادة رسمي أن يفاجئ متابعيه دوما بما هو جديد في إعادة ترتيب عناصر لوحاته، أو ابتكار عناصر جديدة تدخل بعلاقات جدلية، في ما بينها ومع تلك القديمة لتخلق عوالم محدثة. وربما يعود السبب في ذلك لرهافة حسّه في تفاعلاته مع التطورات وبشكل خاص تلك التي تدور في موطن ولادته ونشأته العراق وفي مدينته الجنوبية، الديوانية. إلى جانب طبعا ميله للتغيير، وتوقه دائما لخلق أدوات جديدة تميزه وتضع بين يديه عناصر فنية وجمالية مميزة. وهو يستمد هذه العناصر والتغيرات قطعا من تفاعلاته مع الواقع الذي يعيشه حيث تتداخل الصور وتنبثق الذكريات التي تحفزها أنباء وأحداث بلاده المضامة، العراق، اليومية منذ أن أضطر لمغادرته والرحال لايطاليا العام ١٩٧٧.
تدرجات يتسع مداها وكأنها الفضاء برحابته، تتوسط الأبيض والأسود.... تفصح عن حركة متقصدة لفرشاة الفنان، وهي تشير إلى تصميمه على تأكيد وضوح نواياه من خلال وضعها خطوطاً لونية ورموزاً ناطقة بالحركة وهي تفترش سطوح ورق الفابريانو الخاص والأنيق.
وبهذه الخطوط وبإضافة عناصر جديدة للوحاته كاستخدام مادة الإسفنج وحفر أشعار بحروف عربية، استعرض رسمي شريطاً وقصصاً من مسارات حياته وتجاربه في الغربة ومعها. وبدا وكأن زياراته الأخيرة لبلاده الأم بعد غياب امتد لأكثر من ثلاثين عاما من عمره، كان لها الأثر في تحديد أبعاد وصور وشخوص لوحات وأعمال معرضه هذا.
لقد طرح الفنان على نفسه تساؤلات عميقة المعاني بعد مسيرة العمر الطويلة، وبعد حرمانه من العيش في عشّ حياته الأصيل، مكان ولادته ونشأته: فهل ما حصل ويحصل الآن في العراق هو خلاصات تضحيات قدمها هو وشعبه طوال سنوات عجاف؟ أهذا هو ثمن الغربة التي دفع هو وآخرون بالآلاف، من أقرانه ثمنا باهظاً لها وما يزالون؟
هذه وغيرها من التساؤلات بقيت مركونة في ذهنه تتفاعل يومياً مع تفصيلات حياته في مدينته الثانية فلورنسا الإيطالية. ولكنها اختمرت وتفجرت صوراً وتشكيلات فنية صارخة تناجي العالم عبر التلاحم بين الأسود الحزين والأبيض المستبشر بالسلام ومستقبل أفضل على الأرض. وخلق رسمي لتطلعاته هذه ولشدة معاناته رموزاً؛ طيرٌ يتميز بهيكله ولونه. أشجارُ السرو تتقلد امرأة، أو نساء تتمظهر بهياكل أشجار متحركة، صارت عنصراً من عناصر أعمال رسمي منذ سنوات، الرمانُ وهو الرمز للخصب والحياة والخلود.
ولم يتوقف رسمي عند حدود التشكيل بل صار ومنذ زمن ليس بالبعيد، يعمد لفن الفيديو مستلهما موضوعات تشكيله، بالإبداع في ميدان آخر من ميادين الفن البصري. وشارك قبلا بمعارض للفيديو آرت، وكان آخرها مشاركته في بينالة فيرونا شمال إيطاليا قبل أربعة أشهر فقط على افتتاح معرضه الجديد (أناشيد أندلسيةً) الذي ضم فلمين للفيديو أنجزهما خلال السنتين الماضيتين.
وهنا جسد الفنان العراقي رسمي منهجا إبداعياً بامتياز، حين عالج موضوعات الفيديو بأدوات التشكيل، ووظف جوانب من تقنيات الفيديو بنفس الوقت في إغناء نهجه التشكيلي. وربما، أقول ربما، كان هذا سببا من أسباب لجوئه لهذا التلوين بتدرجاته الرصاصية نحو الأبيض، وكأنها تقنية سينمائية.
أناشيد رسمي كاظم الأندلسية تتغنى وترتقي بأماكن وباحات العالمين المترابطين، عالمي حضارات لها عمق التاريخ بدءً من بلاد ما بين النهرين وعبر الأندلس لتتفتح على حضارات العوالم الأخرى.
وهي ميزة أخرى يوثقها هنا رسمي، ميزة الإنسانوية الشاملة.
التناقض بين الأسود والأبيض يظهر جمالية الحياة عبر التدرج والتداخل اللونيين. وكأن رسمي أراد القول بأن الحقائق نسبية والتأريخ يتفتح على آفاق أرحب مستمدا من التأريخ قوته وغناه. وكأن به يعيدنا للمفهوم الفلسفي الكوني، بأن جمالية الحياة تتمثل تماما بوحدة أضدادها.
إن معرض الفنان العراقي المجد رسمي كاظم الخفاجي إضافة نوعية لمسيرته الفنية، بل وأستطيع القول أنه إغناء للفن التشكيلي العراقي، في مرحلة تتعزز فيها رغم العوائق الكثيرة، أواصر التلاقح أو التلاقي بين فناني الغربة والمهجر وأقرانهم والأجيال اللاحقة في الداخل، بعد القطع الذي دام لعشرات السنين بسبب القمع والدمار. كما قدم رسمي الخفاجي في معرضه هذا، أنموذجاً بل وتأكيداً لحقيقة أن المواصلة والمواظبة في الفن تسمح للفنان بدراسة أبعاد فنّه وأدواته ومقارنتها زمانياً ومكانياً. وهذا بحد ذاته يفتح آفاق تعمق في الوسائل والأساليب وتسهم بتطوير الأدوات، وهنا لن ينحصر التطوير عند حدود الفنان وحده، بل ستخلق بدورها سبباً وعامل تحفيز لنهوض الفن بشكل عام، خاصة وأن أحد أبرز اهتمامات، أو مهام الفنان العراقي حاليا هو تعزيز، بعد توسيع، العلاقة والتواصل مع مسيرة زملائه فناني الداخل.
لوحات رسمي إذاً، غنية برموزها، غزيرة بطرح أدواتها الفنية ومعانيها الحياتية، وهي تحتاج لأكثر من مجرد زيارة أو إلقاء نظرة، وتقدم مادة لتفعيل العقل والخروج من تقوقعات الذات نحو أبعاد أرحب ونحو آفاق أوسع من مجرد تفاصيل معاناته فردية، أو توصيفات لجوانب حياتية أو لاستذكارات تقف عند حدود الذكرى.
هي دعوة حقيقية لإعادة التقييم على مستوى الذات والموضوع، وربما هي فرصة أخرى للتفكير مجددا بمعاني الحياة وسبل البحث عن مخارج أفضل لإغنائها وبناء ما هو أفضل لإنساننا العراقي المتطلع نحو إنسانيته الحقة، التي حاولت غمطها وتشويهها كل أشكال القمع والكبت والوصاية والتهميش، السائدة هذه الأيام في مجتمعنا. إنها صرخة تضاف لصرخات أبناء شعبنا في الانعتاق نحو بقع نور أشد ضياءً.

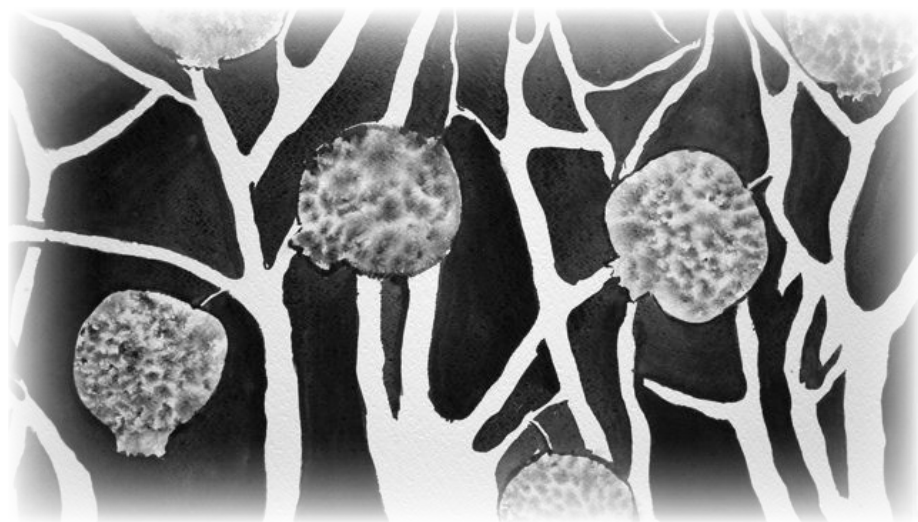

تلويحة المدى

■ شاكر لعيبي

الفضائيات الكبرى والرأي الواحد

لا يجادل تقريباً أحدٌ اليوم أن ثمة فضائيات قوميةً كبرى في العالم العربي، صارت معروفة للقاصي والداني، العربي والأوربي. ومنها على وجه التخصيص قناتا الجزيرة والعربية. لقد برهنت القناتان بفضل سيولة نقدية كبيرة، احترافية عالية، ورصد للخبر في أوانه، وتوفرّتا على شبكات مُعْتبرَة من المراسلين والصحفيين والتقنيين الذين وُضعت تحت تصرفهم أحدث الآلات ووسائل الاتصال والأقمار الصناعية.
إنهما تعلنان للملأ بأنهما تدافعان عن الاتجاه الآخر المعاكس (الجزيرة)، أو إنهما تمتلكان المصداقية (العربية). وقد أخذنا هذا الإعلان على محمل الجد، وما زلنا. وفي الحقيقة فقد عبرّت هاتان الفضائيتان مراراً وتكراراً عن رأي معاكس ما ومصداقية ما، ولكن ليس الرأي المعاكس كله ولا كل المصداقية المأمولة التي ما زلنا نتمناها.
لقد ثبت اليوم للجميع أن هناك هواجس، إذا لم نقل سياسات محددة، تحرِّك نشاط القناتين. إن مفاهيم التواصل الاجتماعي وفكر الميديا المعاصرة تطلب منك أن لا تعلن الهواجس الفعلية التي تُحرِّكُكَ. تصرّفْ كما لو أنك في مطلق الحياد وكأنك تغطي الحقيقة عارية من دون أيديولوجيا ولا خلفية سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية أو طائفية. ثابرْ دون كلل على القول إنك تنقل الأشياء مثلما هي وكما تراها عين الكاميرا (الموضوعية)، حتى لو قمتَ بمونتاج معين أو تكرار ملحّ للقطات معينة أو أنك تجاهلت عين الكاميرا في مكان آخر. صوِّب مثل رام ماهر إلى قلب عدوكَ زاعما أن تطلق رصاصكَ في الهواء. أفعلْ على هذه الشاكلة، لأنك في العالم الحديث المعقد، ما عدا ذلك فستقوم بإعادة إنتاج لنسق التلفزيونات العربية التي تبشّر عن سابق قصد بالسّياسة الوحيدة التي تعتبرها الحقيقة المطلقة الممكنة، وستكون لذلك من الفجاجة والملل بمكان كبير.
لكن الصورة الفوتوغرافية ليست موضوعية دائماً، لأننا قادرون بتأطير معين على تغيير معناها رأسا على عقب، وأن الحذف لصالحك أو لصالح خصومك هو المبدأ الأساسي للمونتاج. كما أن الحياد والموضوعية والاستقلالية غير ممكنات عملياً طالما ثمة رأس مال ذو مصالح محددة يموِّلك: استقلالية صحفييك واهية لأنهم لا يستطيعون الخروج على السيناريو المعدّ في مطبخ الأخبار. ومهما كانوا من كبار المثقفين والمحللين الثاقبين ذوي الرصانة والشهرة فسوف يطاح بهم إذا خرجوا على النص. وحتى لو طعِّمت طبختك بالكثير من توابل الرأي المعاكس والعديد من معطيات المصداقية فإن لك حدوداً عليك أن لا تتخطاها وهذه تقع هنا: السياسة الأصلية التي تأسست بموجبها القناة التي تعمل فيها.
أين نحن من ذلك في حالة الفضائيتين المذكورتين؟. علينا الحذر عند الإجابة في عمود مقتضب مثل هذا. لقد صارت هاتان القناتان (فضائيتين قوميتين)، أي للعرب قاطبة بمعنى من المعاني. ويمكن الافتراض ببعض السذاجة أن المساحة الواسعة التي تشغلانها في ضمير المشاهدين تجعلهما تحوزان نظرياً فضيلة المنبر المحايد المرغوب به الذي لا ينتمي فقط لمموّله وسياساته. ومهما كانت درجة الوهم في هذه الفرضية، فإن وضعية القناتين العملية في أذهان الكثير من المشاهدين تلقي عليهما بعض المسؤولية: الكف عن التبشير مداوَرة بالرأي الواحد المقال بطريقة بارعة، والتصريح خلاف الإضمار.
في تعاطي القناتين مع يجري في العالم العربي اليوم دليل على سياسة ذات استهدافات محددة بعضها آني والآخر بعيد المدى، وثمة أحيانا قميص عثمان بدمه العبيط.
أما إذا كانت مثل هذه المسؤولية الضرورية التي نأمل بها، الملقاة على عاتق القناتين، غير ممكنة في الشروط الحالية، فأظن أن تأسيس قناة قومية شاملة على نمط الجزيرة والعربية وبالاحترافية التي تعملان بها، يصير منذ اللحظة ضرورة في العالم العربي، بحيث علينا أن نتخيَّل قناة قومية عربية على نمط القناة القومية الإنكليزية الـ (BBC)، المحايدة أكثر بدرجات كبيرة من قنواتنا العربية المحترمة.

موسيقى السبت

السيمفونية الأولى للفرنسية لويز فاران

ثائر صالح

لويز فاران ١٨٠٤-١٨٧٥ من الموسيقيات الفرنسيات اللائي جرى نسيانهن وتناسيهن من دون حق. فهي مؤلفة موسيقية، وهذا وحده سبب كاف لتناسيها وإهمالها من قبل المجتمع الذي يسيطر عليه الذكور. لكنها فوق ذلك مؤلفة موسيقية بارعة، وعازفة بيانو ماهرة، ومربية ومدرسة ناجحة.
بدأت لويز فاران بتعلم العزف على البيانو مبكراً، وعندما تبينت قدرات الطفلة بدأت تأخذ الدروس عن التشيكي إغناتس موشلس مدرس مندلسون وصديقه، وعن النمساوي السلوفاكي يوهان نبوموك هومل. وأرسلها أبواها لتدرس التأليف على يد التشيكي – الفرنسي أنتون رايخا الذي كان صديقاً لبيتهوفن، وأستاذاً لكل من فرانس ليست وأكتور برليوز.
حصلت على سمعة واسعة في ثلاثينيات القرن التاسع عشر كعازفة بيانو، ولذلك تعينت مدرسة بيانو في كونسرفاتوار باريس سنة ١٨٤٢، ومع ذلك كانت تستلم أجوراً أقل بكثير من أجور زملائها المدرسين الذكور. إلا أنها بعد النجاح الباهر الذي حصله عملها نونيت (لتسع أدوات موسيقية، رقم ٣٨ في مي بيمول كبير سنة ١٨٤٩) وبعزف عازف الكمان الشهير يوزف يواخيم، طالبت بأجر مساوٍ لأجور المدرسين الرجال ونجحت فيّ ذلك.
ألّفت لويز فاران أعمالا للبيانو، ثم موسيقى الحجرة قبل أن تنتقل إلى التأليف الاوركسترالي، ولها ثلاث سيمفونيات، وتعتبر مؤلفاتها لموسيقى الحجرة من أفضل أعمالها، على الخصوص النونيت الشهير (رباعي وتري مع خمس هوائيات). ولا تقل أعمالها قيمة عن أهم معاصريها من المؤلفين الذكور. وقد أمتدح الموسيقار العبقري والناقد الفذ روبرت شومان أعمالها.

في نادي الشعر الاحتفاء بحامل الجمر

عادل مردان شاعرٌ داس طويلاً على النحاس

ضمن نشاطاته الأسبوعية في الاحتفاء بشعراء المحافظات لكسر أرجحية المركز على الهامش، وتسليط الضوء على الوجوه المبدعة، احتفى نادي الشعر في اتحاد الأدباء والكتاب العراقيين، بالشاعر البصري عادل مردان، قدّم الجلسة الشاعر عمر السراي الذي قال: إن هذا الشاعر الذي يعرف جيكور - ويعرف العشار - ويعرف هذه المدن التي منحتنا الصحو دائما، كل من في البصرة يعرف الشعر والقصائد والأدب والقصة والرواية والنقد ويرسم ويعزف الموسيقى ويمثل على خشبات المسرح ويخرج من شاشات الكاميرات، يعلمنا كيف نعيش، هذه المسافة التي تناهز ٦٠٠ كم ما بين بغداد والبصرة، ينتقل إليها المبدعون من وإلى بكفة سر واحدة، فالعالم مصفح وما عاد في القلب عاصمة ومركز وهامش،البصرة عاصمة الحب الدائم.

ثم قرأ بعضا من قصائده التي نالت إعجاب الحضور، وجاءت القصائد وهي تروي حياة مدينة تسكنها الفجيعة والخوف والحروب وكانت قصيدة إنشاد حامل الجمر / تكركر الكلمة/ الكلمةُ ينبوع/ تبكي الكلمة/ الكلمةُ نبع/ إلا كل دمعة تخلد/ أيها الضحك أنت بموازاة الدمع/ رفيقه الزمارُ والطريد/ يتمتمُ قنديلي الأرمل/ بين رعشاته إغماض/ يشدو بمتعة أروع من اوبانيشات/ لمَ أفزعتني ياديك الفجر؟/ عسى محضياتكَ تحاط بلذائذ / فبأي إنشاد تجرني إلى الصبح.
وفي باب المداخلات قرأ الشاعر عبد الباقي فرج ورقة للشاعر عبد الكريم كاصد وكانت بعنوان – تعدد الأصوات في حامل الجمر – ما يستأثر بالاهتمام في مجموعة "إنشاد حامل الجمر" هو تعدد الأصوات في بعض قصائدها رغم قصر هذه القصائد، وكثافتها بل واختلاط بعض هذه الأصوات أحياناً، وقد تتبادل هذه الأصوات الأدوار حتى لتبدو وكأنها في مسرح، ففي قصيدة "الرعب مشرقيا" / ضحوةٌ رائعة / يقلمون أظافرك فيها / وتعود مواطنا من الدرجة الثالثة / رأيت مني الكثير / صمتي الخرافي / والمرح الذي أضفيه على فزعي / حينها كنت لاتأبه باستغراق.
وتحدث الشاعر كريم جخيور عن علاقته بعادل مردان منذ عدة عقود وقال: إن حصافة هذا الكيمياوي المفلس الذي ترك تفاعلات العناصر وراح يفسح من الكلمات أجنحة رفيفها لا ينقطع ودهشتها لا تذبل،شاعر داس طويلا على النحاس، النحاس الذي صيره الآخرون بوقا لحصد الذهب، ومسدسات نوع طارق، واكتفى أن يكون حاملا لإنشاء الجمر.
وقرأ الناقد علوان السلمان ورقة نقدية بعنوان "إنشاد حامل الجمر وجماليات النص الشعري".

المدى الثقافي